الفصل الأول

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

المنهج القرآنى لحياة المسلم

• **كيف كان بدء الوحى ؟**

عن عائشة أم المؤمنين – فيما رواه البخارى وغيره – أنها قالت :

« أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى : الرؤيا الصالحة فى النوم . فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح » .

ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك . ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها .

حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قلت ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال :

« اقْرَأْ باسْمِ ربِّك الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَق ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ ما لَمْ يَعْلَمْ » .

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة ، وأخبرها الخبر ، لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له خديجة : يا بن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى . يا ليتنى فيها جذعاً ، ليتنى أكون حيًّا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجىَّ هم ؟ قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزرًا .

ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى .

* **هذه الليلة :**

هذه الليلة المباركة هى التى سماها الله ليلة القدر فقال سبحانه وتعالى :

« إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ »

ثم أخذ الله سبحانه وتعالى يبين فضلها فقال :

« وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَامٌ هِىَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » .

ووصفها الله بأنها مباركة فقال سبحانه وتعالى :

« حٰمٓ ، وَالْكِتابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبِّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ » .

أول الدخان .

وأخبر الله سبحانه وتعالى أن هذه الليلة المباركة فى شهر رمضان ، فقال :

« شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقانِ » .

عن هذه الليلة المباركة نأخذ فى الحديث مبتدئين بأسمى أحداثها ، وأسمى هذه الأحداث هو الوحى الذى يتمثل فى قوله تعالى :

« اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ » .

• اقرأ :

وهذه المادة الأولى من الدستور الإسلامى غنية بالمعانى ، ثرية بالتوجيهات ، ومعانيها وتوجيهاتها ليست آتية من ألفاظها فحسب وإنما هى آتية أيضاً من الجو العام الذى تشير إليه أو الذى توحى به . فهى تبتدئ أولا بكلمة : اقرأ .

إنها تأمر بالقراءة التى هى من أهم وسائل العلم والمعرفة إن لم تكن أهمها ، ويتسم الإسلام لأول لحظة زمنية من حياته ولأول كلمة فيه بسمة العلم ، وتتوالى بعد ذلك الآيات موضحة ومؤكدة هذه السمة جاعلة منها طابعاً وشعاراً .

وإذا كانت الآيات الأولى التى نزلت من القرآن فى الليلة المباركة قد أمرت بالقراءة مرتين ، وذكرت مادة العلم ثلاث مرات ، وذكرت القلم ، فإن الآيات التى نزلت بعد « فترة » الوحى[1] بدأت بحرف من حروف الهجاء : « ن » ، وتضمنت أول قسم أقسم به الله سبحانه فى القرآن وكان هذا القسم بالقلم : « ن ، والقلم وما يسطرون » .

ثم تتوالى الآيات القرآنية فى فضل العلم ، وفى الحث على التعلم وفى تمجيد العلماء .

لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلجأ إلى الله متضرعاً داعياً أن يزيده الله علماً : « وقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً » .

وهذا الدعاء الذى يتجه به الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله إنما هو من أروع الأمثلة فى التربية . وذلك أنه صادر من الإنسان الكامل ، إنه صادر من رسول الله أكمل الرسل يبين للأمة أن الإنسان ، مهما بلغت به المنزلة، ينقصه الازدياد من العلم . وإذا كان الرسول - أكمل المخلوقات - يرجو أن يزيده الله علما فما بالك بأفراد الأمة . وتصور زعيم أمة تكبره وتجله وتقدسه يعلن فى صراحة لا لبس فيها أنه ما زال - ولن يزال - بحاجة إلى الزيادة فى العلم : إنه يدفع الأمة بذلك - الأمة التى تقدسه - إلى السير على منواله فترجو أن يزيدها الله علما .

وإن أسمى شىء فى الحياة من غير شك إنما هو الإيمان . إنه فى الدرجة المطلقة من السمو ويأتى : مع الإيمان تاليا للإيمان مباشرة : العلم .

والعلم فى النظرة الإسلامية من وسائل تثبيت الإيمان ، وزيادته ، وتقويته ، ذلك أن العلماء فى الأعراف الإسلامية هم أشد الناس خشية

(١) فى حديث كيف كان بدء الوحى وردت كلمة : « وفتر الوحى » .

لله سبحانه ، يقول تعالى :

« إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ » .

ولا يصل إلى ذروة الإيمان – الذروة المطلقة – من بنى آدم إلا العلماء : إن الله سبحانه وتعالى يقرنهم به و بملائكته فى شهادة التوحيد ، وشهادة التوحيد هى ذروة سنام الإيمان ، إن : أشهد أن لا إلـه إلا الله ، هى قمة الإيمان ، وهذه القمة لا يرقى إليها إلا العلماء ، يقول سبحانه :

« شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ » .

هذه هى النظرة القرآنية للعلم الذى اتسم به الإسلام منذ « اقرأ » .

* **العلم فى الإسلام :**

وقد يظن بعض الناس أن العلم الذى عناه القرآن إنما هو العلم بالدين فحسب وليس الأمر كذلك . فإن الله سبحانه وتعالى حينما ذكر أن العلماء هم الذين يخشون الله أحاط الآية القرآنية بجو يمنع أن تحدد العلم بالعلم الدينى فقط يقول سبحانه :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُها ، وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُها وَغَرَابِيبُ سُودٌ ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ . إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ » . فاطر : ٢٧ – ٢٨ .

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد امتن علينا بأن سخر لنا البحار والأنهار والجبال وسخر لنا الشمس والقمر والكواكب . لقد سخر لنا الكون كله .

وهذا الامتنان من الله سبحانه وتعالى علينا بالتسخير إنما هو من أجل أن نصل إلى السيطرة عليها باكتشاف القوانين التى وضعها الله سبحانه

وتعالى لتسخيرها . يقول سبحانه :

« اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ » ٣٢ – ٣٣ إبراهيم .

وقال تعالى : « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِى السَّمٰوَاتِ وَما فِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَباطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ » ٢٠ لقمان .

وقال تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِى الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ » ٦٥ الحج .

وقال تعالى : « اللهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِى السَّمٰوَاتِ وَما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » ١٢ – ١٣ الجاثية .

إن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان للخلافة الأرضية . ومنحه العقل يكتشف به ما يهيئ له هذه الخلافة فى العالم المادى ، العالم المحسوس ، ولقد سير هذا العالم المادى بنواميس محكمة مطردة وعلى الإنسان أن يكتشف هذه النواميس ليطوع الكون له ، وعليه أن يكتشف هذه النواميس كمظاهر لعظمة الله وجلاله فتكون من أسباب خشيته سبحانه .

إن عالم التشريح يرى الدقة فى الصنع والإحكام فى التكوين ويرى هذا الإبداع البديع فى التركيب الإنسانى والحيوانى والنباتى فيخر ساجداً لمبدع العالم الذى أحسن كل شىء صنعاً .

وإن عالم الفلك يشاهد بمرصده ويتصور بذهنه هذه السعة الشاسعة المذهلة فى تصورها ، ويعلم أن كل صغير وكبير فيها يسير فى تقدير دقيق : «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» يرى ذلك فيخر ساجداً للمبدع . ويردد مع القرآن الكريم :

« تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ . الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ . ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ» . أول سورة الملك .

أرأيت إلى غزو الفضاء والوصول إلى الكواكب ، واكتشاف نواميس الكون فى أعماق البحار ، وعلى قنن الجبال ، وفى مجالات الجو . . إن كل ذلك فى الأعراف الإسلامية الصادقة واجب على المسلمين .

وإنه لمن سوء القصد أن يشيع مشيع أن الإسلام يعارض غزو الفضاء والوصول إلى الكواكب .

إن الإسلام على العكس يوجب كل ذلك على الأمة الإسلامية التى يحب الله ورسوله أن تكون أقوى أمة فى العالم حتى تؤدى رسالة الله التى كلفت بأدائها .

ونعود فنقول : لقد اتسم الإسلام بالعلم منذ « اقرأ » .

وإذا كان القرآن الكريم قد وجه الأمة الإسلامية إلى العلم ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم — وهو صورة قرآنية كاملة — قد حث المسلمين على العلم فى أساليب شتى ، يقول صلوات الله وسلامه عليه : « من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة . وإن الملائكة لتضع

أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع . وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . وإن العلماء ورثة الأنبياء . وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم : فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود والترمذى .

• باسم ربك :

إن الاتجاه العلمى فى الإسلام بدأ فى صورة صريحة بـ « اقرأ » ولكن « اقرأ » فى الإسلام مشروطة بشرط يوجبه الإسلام ويحتمه ، إنها ليست مطلقة وإنما هى مقيدة بأن تكون : باسم ربك . وهنا يفترق العلم فى صورته الإسلامية عن العلم فى صورته الأوربية . بل تفترق الحضارة الإسلامية عن الحضارة الحديثة ، بل تفترق الحياة الإسلامية فيما يجب أن تكون عليه عن الحياة الأوربية : وذلك أن كل أمر من أمور المسلم يجب أن يكون :

« باسم ربك »

فالعلم أسساً وبواعث يجب أن يكون : « باسم ربك » والعلم أهدافاً وغايات يجب أن يكون باسم ربك . يجب أن يكون العلم فى سبيل الله أى أن يكون للخير وللفضيلة ولإسعاد الإنسانية . فإن ما كان باسم ربك يحقق كل خير ، وكل مكرمة ، وكل فضيلة ، وتسعد به الإنسانية .

والواقع ، والحقيقة أن القراءة المأمور بها فى الآية الكريمة ليست إلا رمزاً فحسب ، إنها رمز لما ينبغى أن تكون عليه جميع أعمال المسلم والآية تريد أن تقول : تكلم باسم ربك ، قم باسم ربك ، اعمل باسم ربك ، لتكن حياتك كلاماً وصمتاً ، حركة وسكوناً : باسم ربك .

والآية الكريمة واضحة وضوحاً بيناً فى الصورة الإيجابية من الأعمال بيد أنها تتضمن الصورة السلبية أيضاً ، هذه الصورة التى صرحت بها الآيات فيما بعد :

« وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ » .

وكذلك كل ما ذبح باسم الأصنام فلم يذكر اسم الله عليه : فسق ، يجب اجتنابه :

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا ما ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » المائدة : ٣ .

وسواء أكنا بصدد ما صرحت به الآية الكريمة : « اقرأ باسم ربك » أم بصدد ما تضمنت ، فإن هذه الآية الكريمة التى أجملت دستور الأمة الإسلامية إيجاباً وسلباً ، صراحة أورمزاً أوإشارة : تفصلها ، نوعاً من التفصيل ، آية أخرى فيها أمر إلهى لمن أعده الله ليكون أسوة حسنة للإنسانية :

« قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » .

إن الله سبحانه وتعالى يقول :

« لَقَدْ كان لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً » .

وهذه الأسوة الحسنة كانت صلاته ، وكان نسكه ، وكانت حياته

كلها بل كان مماته . . كان كل ذلك خالصاً لوجه الله الكريم لا يشركه سبحانه فيه شريك .

والمسلمون مأمورون بأن يسيروا على نهج رسولهم فتكون حياتهم سلباً وإيجاباً ، حركة وسكوناً ، بل يكون مماتهم : لله ، وباسم الله وفى سبيل الله ، إنها فى جميع مظاهرها وظواهرها يجب أن تكون قراءة « باسم ربك » « ألا لِلهِ الدينُ الخالصُ » : فكل ما لم يكن خالصاً لوجهه أو كل ما لم يكن قراءة باسمه فليس عملا إسلاميًّا : « لَنْ يَنالَ اللهَ لحُومُها ولا دِماؤُها ولَكنْ يَنالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ » .

* **لماذا عدلت الآية الكريمة عن لفظ « الله » إلى لفظ : « ربك » ؟**

والآية الكريمة : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » . ولقد كنا نتوقع ، ونحن بصدد أول آية نزلت من القرآن ، أن تأتى الآية بلفظ « الله » فتكون : « اقرأ باسم الله الذى خلق » وذلك أن هذا اللفظ الكريم : « الله » : يتضمن جميع صفات الله وجميع أسمائه . ولكن الآية الكريمة عدلت عن ذلك إلى لفظ « الرب » . وهذا العدول إنما هو لحكمة بالغة : وذلك أن الله سبحانه ينبه من أول الأمر إلى أن القراءة يجب أن تكون باسم « الرب » باسم « المربى » أى أن القراءة يجب أن تكون فى إطار التربية الإلهية ، ومعنى ذلك أن الحياة التى رمزت إليها « اقرأ » ، يجب أن تكون فى الإيجاب والسلب ، فى الحركة والسكون ، فى النطق والصمت : فى إطار التربية الإلهية ، فى إطار الأوامر والنواهى ، فى إطار ما رسمه الله للفرد ، وفى إطار ما رسمه الله للمجتمع .

والعدول عن اللفظ الكريم « الله » إلى اللفظ الكريم « الرب » إنما

كان – فى بعض أهدافه – لهذا . إن هذا العدول يريد أن يقول للإنسان : إنـك حينما تدخل – حرًّا مختارًا – فى عهد الله وفى دينه وفى ميثاقه : يجب أن تروض نفسك منذ المبدأ على أن تستجيب استجابة مطلقة لله سبحانه وتعالى فى أمره ونهيه .

يجب أن تعقد العزم على أن تكون ربانيًّا .

* « الذى خلق » :

أما ما يبرر ضرورة هذه الاستجابة إلى « ربك » فإن البرهان الضخم الحاسم يتمثل فى قوله تعالى : « الذى خلق » .

وذلك أن الذى خلق أى الذى كون جميع أجزائك ، وركب جميع أعضائك ، ورتب جميع خلايا جسمك وجميع ذرات وجودك وأنشأك خلقاً سويًّا – إن هذا الذى فعل ذلك – هو الأعرف بك . وحينما يضع دستوراً لك ، وحينما يرسم لك الحياة التى تسير عليها فإنما يفعل ذلك على علم ، ويفصل ذلك عن حكمة . إنه البارئ ، إنه المكون ، إنه الخالق ، إنه المبدع . فكيف يتأتى أن نعدل عن تربيته إلى تربية مخلوق . ومهما بلغت عقلية هذا المخلوق ومهما بلغ نضجه فإنه مخلوق لا خالق ، مكوَّن لا مكوِّن . ولا يتأتى فى عرف ذوى البصائر المستنيرة العدول عن تربية الخالق إلى تربية المخلوق ، والعدول عن تربية الرب إلى تربية المربوب ، إنه عدول عن تربية الكامل إلى تربية الناقص .

• **تلخيص ما سبق :**

لعلنا بتوفيق الله قد وضحنا بعض ما تدل عليه المادة الأولى من الدستور القرآنى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ونلخص ما سبق فى أن هذه المادة تدل على :

١ – العلم : « اقرأ » .

٢ – أن تكون الحياة الإسلامية « باسم ربك » ، أى متجهة إلى الله سبحانه وتعالى .

٣ – أن تكون هذه الحياة فى إطار التربية الإلهية ويدل على ذلك استعمال لفظ « ربك » والعدول عن لفظ « الله » .

٤ – ضرورة الاستجابة إلى هذه التربية بالذات دون غيرها ، لأنها تربية « الذى خلق » .